أسلوب التفصيل في العربية والقرآن الكريم

أ.م.د. محمد إسماعيل عبد الله أ.م. محمد أحمد زكي
كلية الفنون الجميلة/ جامعة بابل كلية التربية الأساسية/ جامعة بابل

The method of detail in Arabic and the Holy Quran

Ass. Prof. Dr. Mohammed Ismail Abdullah
College of Fine Arts\ University of Babylon
Ass. Prof. Mohammed Ahmed Zaki
College of Basic Education\ University of Babylon
mhmqasm88@gmail.com

Abstract

The person who has done what is in the text is a statement of its meaning, and its purpose is to be clarified. And Arabic language statement, and modesty. And when the text is concerned with regard to the first image, and clarity of the mechanisms of existence. And the Arab provided so little Amuri in the electronic quorum of the Middle East.

- The means of showing the pulse in all its forms and detail and is clear in detail in many issues, including what was in the letters that precede the graphs. To the names on the basis of detail. I have seen that I put it in the first section: the detail of the letters, so I gathered in it the details of the letter such as: (mother), and (or) and similar to their meaning. And secondly: detailing the names, such as detail in terms of class, allowance, discrimination, and the like.

And the mournful performance of this sorrow is everywhere. The research concluded with the results of the research.

Keywords: Style, detail, in Arabic, Quran.

المقدمة

إن من أتمّ ما في النصّ بيان معناه، وتجلي غايته. والعربية لغة البيان، ومظنة العرفان. ومتى احتمل النصّ المعنى فإن البيان أول صوره، والوضوح من مكنونات وجوده. والعربية وفّرت لذلك أموراً كثيرة منها صياغة النصّ واضحاً مطابقاً لقواعد الصوت المنسجمة مع اللسن العربي، وقواعد الصرف التي جبل عليها اللفظ العربي، وقواعد النحو التي بنيت عليها العربية.

إنّ من وسائل بيان النصّ التبيين بكل صوره والتفصيل باب مهم من أبواب التبيين. ويتضح التفصيل في مسائل كثيرة منها ما كان بالحروف التي تسبق الجمل البيانية. ومنها الأسماء الدالة على التفصيل. وقد رأيت أن أضعها في مبحثين: الأول: التفصيل بالحروف، فجمعت فيه ما جاء تفصيله بالحرف مثل: (أمّا)، و(أو) وما يشبه معناهما. والثاني: التفصيل بالأسماء، كالتفصيل بالصفة والبدل والتمييز وأمثال ذلك.

وقد مهدّت لبحثي هذا بتمهيد ذكرت فيه معنى التفصيل في اللغة والاصطلاح تلا مقدمة ذكرت فيها أهمية البحث وخطته. وقد ختمت البحث ببعض النتائج التي توصل لها البحث.

الكلمات المفتاحية: أسلوب، التفصيل، في العربية، القرآن الكريم.

التمهيد: معنى التفصيل لغة واصطلاحاً

التفصيل هو من الفصل، وهو لغةً عند الخليل: ((الفَصلُ: بَوْنُ ما بين الشَّيئين. والفَصْلُ من الجَسَد: موضِعُ المَفْصِل، وبين كل فَصْلَيْنِ وَصْلٌ. والفَصْلُ: القَضاء بين الحقِّ والباطل، واسمُ ذلكَ القضاءِ فَيصَلٌ))[1]، وقال الأزهري: ((وَيُقَال: فَصَّلتُ الوشاحَ: إذا كَانَ نظمُه مُفَصّلاً بِأَن يَجعل بَين كل لؤلؤتين مَرْجانةً أَو شَذْرةً أَو جَوهرةً تَفصل بَين اثْنَتَيْنِ من لونٍ وَاحِد. وتَفْصيلُ الجَزور: تَعْضِيَتُه وَكَذَلِكَ

(1) العين: 7/ 126، مادة (فصل).

الشَّاة تفصَّل أَعْضَاء))[1]، أما الجوهري فذكر معنىً مهماً من معانيه قال: ((والتَّفْصيلُ أيضاً: التبيين))[2]، فالفصل عزل شيء عن شيء، وكأن حاجزاً قد كان بين الشيئين أو هو وضع الحاجز بين الشيئين على العمد، أما الفعل فصّل يفصّل فمدلوله غير ذلك؛ لأن معناه التعديد لما أجمل سابقاً ومنه التفصيل الذي مصطلح يراد به ذلك على العمد والقصد والغاية منه التبيين والتوضيح. وكأن الشيء إذا أطلق وأجمل معناه احتاج هذا البيان والتوضيح.

ومن حديث الأصوليين والفقهاء في قوله تعالى: ﴿ **الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَت** ﴾ (هود: 1)، وقوله تعالى: ﴿ **فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ () ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ** ﴾ (القيامة: 18 – 19)، قال الشيرازي: ((وثم تقتضي المهلة والتراخي فدلَّ على أنَّ التفصيل والبيان يجوز أن يتأخر عن الخطاب. وأيضاً هو أنَّ الله تعالى أوجب الصلوات الخمس ولم يبين أوقاتها ولا أفعالها حتى نزل جبريل عليه السلام فبين للنبي ﷺ كلّ صلاة في وقتها وبين النبيﷺ أفعالها للناس في أوقاتها وقال صلوا كما رأيتموني أصلي))[3]، فالبيان والتفصيل توضيح للنصّ القرآني بعد نزوله أو بعد تدبره وفهمه فهماً استنباطياً يخرج الحكم منه بعد النظر والمدارسة فيه.

ومن المعلوم أنَّ التفصيل يقابل يخصّص ما جاء في الإجمال ويحدّد المعنى؛ ولذلك قال الشريف الجرجاني: ((الإجمال: إيراد الكلام على وجه يحتمل أموراً متعددة، والتفصيل تعيين بعض تلك المحتملات أو كلها))[4]، وتحدّث العسكري عن الفرق بين الشرح والتفصيل فقال: ((الشرح بيان المشروح وإخراجه من وجه الإشكال إلى التجلي والظهور ولهذا لا يستعمل الشرح في القرآن. والتفصيل هو ذكر ما تتضمنه الجملة على سبيل الإفراد ولهذا قال تعالى: ﴿**ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ**﴾ (هود: 1) ولم يقل شرحت. وفرق آخر أنّ التفصيل هو وصف آحاد الجنس وذكرها معاً، وربما احتاج التفصيل إلى الشرح والبيان والشيء لا يحتاج إلى نفسه))[5]. فإنّ لفظة (فُصِّلَت) هنا بُيّنت وظهر المراد منها جلياً واضحاً لا لبس فيه بما ظهر من مصاديقها وأجزائها بشكل يفهمه المتلقي ويعرفه. وقال المناوي: ((التفصيل: جمع الشيء فصولاً متمايزة، ومنه المفصل سمي به لكثرة فصوله أي: سوره))[6]، بمعنى التفصيل هنا ذكر جزئيات الأشياء متعددة فيفهم حينها ما أجمل سابقاً. وللمفسرين رأي في التفصيل أيضاً، قال ابن عاشور: ((والتفصيل: التبيين والتوضيح، مشتق من الفصل، وهو تفرق الشيء عن الشيء. ولما كانت الأشياء المختلطة إذا فصلت يتبين بعضها من بعض أطلق التفصيل على التبيين بعلاقة اللزوم، وشاع ذلك حتى صار حقيقة، ومن هذا القبيل أيضا تسمية الإيضاح تبييناً وإبانة، فإنّ أصل الإبانة القطع. والمراد بالتفصيل الإيضاح))[7]، من كلّ ذلك نفهم أنَّ مصطلح التفصيل يساوق مصطلح الإيضاح في الدلالة على الوضوح والبيان.

والتفصيل عند النحويين موضوعه معروف وفيه سعة. فهو يشمل بعض مواضيع العربية. وقد ذكره ابن جني عند حديثه عن ما رواه الأعمش في قراءة ابن مسعود: (يحاسِبْكم به الله يغفرْ لمن يشاء ويعذبْ من يشاء)، قال: جزمٌ بغير فاء فعلق ابن جني على ذلك بقوله: ((جزم هذا على البدل من (يحاسبكم) على وجه التفصيل لجملة الحساب، ولا محالة أنّ التفصيل أوضح من المفصَّل، فجرى مجرى بدل البعض أو الاشتمال))[8]، وقال الرضي عند حديثه على (أمّا): ((اعلم أنّ (أمّا) موضوعة لمعنيين: لتفصيل مجمل، نحو قولك: هؤلاء فضلاء، أمّا زيدٌ ففقيه، وأمّا عمرٌو فمتكلم، وأمّا بشرٌ فكذا، إلى آخر ما تقصد، ولاستلزام شيء لشيء أي أنّ ما بعدها شيء يلزمه حكم من الأحكام، ومن ثم قيل إنّ فيها معنى الشرط، لأنّ معنى الشرط، أيضاً، هو استلزام شيء لشيء، أي استلزم الشرط

(1) تهذيب اللغة: 12/ 136، مادة (فصل).
(2) تاج اللغة وصحاح العربية: 5/ 1791، مادة (فصل).
(3) التبصرة في أصول الفقه: 208.
(4) كتاب التعريفات: 10، وينظر: دستور العلماء: 33.
(5) معجم الفروق اللغوية: 298.
(6) التوقيف على مهمات التعاريف: 104.
(7) التحرير والتنوير: 7/ 260
(8) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: 1/ 244

للجزاء))[1]. فالتفصيل تقسيم المجمل، وبيانه ببعض أقسامه ومدلولاته ليتضحَ في ذهن السامع، ويقرَّ في بيانه أنَّ المتحدَّث عليه بالإجمال قد علم بالتفصيل. وله في العربية أنواع وحروف تؤديه.

والغاية من التفصيل: التفسير والبيان وإيضاح المجمل فقد قيل إنّ التفسير: تبيين الحقائق وإظهارها، وقال ابن فارس: ((وأما (التفسير) فإنه (التفصيل) كذا قال ابن عباس في قوله جلّ ثناؤه: ﴿ **وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً** ﴾ (الفرقان: 33) أي: تفصيلاً))[2]، فالتفصيل إسفار النصّ المتقدم وإيضاحه بما يقربه للأذهان والعقول.

المبحث الأول: التفصيل بالحروف

التفصيل الذي يكون بالحروف تفصيل مشهور ومعروف. وتظهر فيه فائدة التفصيل جليةً لأنّه استعمل حرفاً عرفت اللغة انّه موضوع للتفصيل. ومن أشهر هذه الحروف:

أولاً: التفصيل بـ(أمّا)

التفصيل بـ(أَمّا) من أشهر أدوات التفصيل في العربية عموماً؛ لما قد كان لها سعة في الاستعمال بهذه الدلالة، وقد قال النحويون عنها: ((وفيها معنى الشرط والتفصيل. وتقدر بـ(مهما يك من شيء). ولا يليها فعل؛ لأنها قائمة مقام حرف شرط، وفعل شرط، فلو وليها فعل لتوهم أنه فعل الشرط، ولم يعلم بقيامها مقامه))[3]، والتفصيل فيها واضح بحدوده وملامحه، يجمع فيها المفصّل جلّ ما يريد تفصيله إن لم نقل كلّه. ففيها سعة في التعبير، والعرب تعوّدت التفصيل بها لما لها من مساحة عرض في الكلام وعملها يقوم على التعديد والبسط في متعلقات الاسم المجمل المتقدم، أو المعنى الكبير الذي صرح به المتكلم أولاً لتأتي بعد ذلك صورٌ من التفصيل بجمل متعددة تبتدئ بـ(أمّا) التي تفيد التفصيل وتعديد مصاديق المجمل المتقدم اسماً كان أو معنى. وقال شارح اللمحة: (((أَمّا)– بفتح الهمزة وتشديد الميم– الّتي لتفصيل الجملة))[4]، فالتفصيل بها يكون للجملة المتقدمة وبجمل متلاحقة تقدم المعنى واضحاً بيناً ببيان كل متعلقات المعنى الأول.

وقال المرادي يوضح هذه الأداة بشيء من التفصيل: ((أما حرف تفصيل. وقال بعض النحويين: إنها قد ترد حيث لا تفصيل فيه، كقولك: أما زيد فمنطلق. ولذلك قال بعضهم: هي حرف إخبار مضمن معنى الشرط. فإذا قلت: أما زيد فمنطلق، فالأصل إن أردت معرفة حال زيد فزيد منطلق، حذفت أداة الشرط وفعل الشرط، وأنيبت أمّا مناب ذلك))[5]، فالإخبار فيه من جهة البناء. فإنّ الجملة التي فيها (أمّا) تتركب من مبتدأ مخبر و(أمّا) فيها للتفصيل. وأمّا الشرط فمن ناحية المعنى. فإنّ معنى الجملة يشير إلى تحقّق عجزها لتحقّق صدرها. ففي جملة (أمّا زيدٌ فمنطلقٌ) فإنّ (زيدٌ) مبتدأ فقط ومنطلق خبره فقط من غير لحاظ لـ(أَمّا) أو الفاء في الجملة بمعنى اللحاظ التركيبي لا اللحاظ الدلالي؛ لأن القاعدة الدلالية تقول: زيادة المبنى تؤدي إلى زيادة في المعنى وقد قال الكفوي: ((أما: وضعت لمزيد تقرير لا يفهم هو لولا هي، ألا ترى إلى قولك: (زيد منطلق) حيث يفهم منه خبر الانطلاق ساذجاً، وإذا زدت في أوله (أما) يفهم منه الانطلاق لا محالة))[6]، ولهذا قدروا معنى (أمّا) معنى (مهما يكن من شيء) ليستقيم الكلام ويفهم المعنى، قال الكفوي: ((فعن هذا قال سيبويه في تقريره: مهما يكن من شيء فزيد منطلق))[7]، وقال المرادي: ((والجمهور يقدرون (أمّا) بمهما يكن من شيء... فإذا قلت: أمّا زيد فمنطلق، فالتقدير: مهما يكن من شيء فزيد منطلق. فحذف فعل الشرط وأداته، وأقيمت أمّا مقامهما، فصار التقدير: أما فزيد منطلق. فأخرت الفاء إلى الجزء الثاني، لضرب من إصلاح اللفظ))[8]، هذا على ما يذكره جمهور النحويين معتمدين في ذلك على رأي سيبويه المتقدم.

(1) شرح الرضي على الكافية: 4/ 466.
(2) الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها: 145.
(3) شرح الكافية الشافية: 3/ 1646.
(4) اللمحة في شرح الملحة: 1/ 301.
(5) الجنى الداني في حروف المعاني: 522.
(6) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: 183.
(7) المصدر السابق: نفسه.
(8) الجنى الداني في حروف المعاني: 523.

وحقيقة معناها عند ذلك أنما ((هي حرف وضع لتفصيل الجمع، وقطع ما قبله عما بعده عن العمل وأنيب عن جملة الشرط وحرفه فاستحق بذلك جواباً، وجوابه جملة يلزمها الفاء، ولا بد أن يفصل بين (أمّا) وبين الفاء فاصل، مبتدأ أو مفعول أو جار ومجرور))[1]، فهذه خلاصة ما في أسلوب التفصيل بـ(أمّا) من تداخل وتقديم وتأخير وتقدير وتعويض وتخريج، وهو أمر لم ألحظه في أداة من أدوات التعبير في العربية. أما التداخل فيظهر في الإجمال السابق والتوضيح اللاحق وإنما تفصل (أمّا) بين الاثنين فيذهب التداخل بذلك.

وأما التقديم والتأخير فيظهر في تأخير الفاء عن محلها في الجملة الأصل التي اعتمد عليها في فهم المعنى. وأما التقدير فيظهر في تقدير (أمّا) بـ(مهما يكن من شيء). ومثله التعويض فإنه يظهر في تعويض الحرف (أمّا) بجملة (مهما يكن من شيء) وكأن الكلام قد انبنى على الجملة الأصل ثم صار في الكلام على التعويض ولم يظهر من كلام الجملة الأولى الأصل إلا عجزها. وأما التخريج فيظهر في أن معنى الجملة مع (أمّا) غير واضحة الدلالة فلا يبين معناها إلا بالتخريج الذي أبداه سيبويه في تقديره فخرّجت الجملة على التفصيل.

على أننا يجب أن نقول رأياً مهماً هنا هو أن الجملتين وأعني بهما (أمّا زيدٌ فمنطلقٌ)، و(مهما يكن من شيء فزيدٌ منطلقٌ) غير متوافقتين لا في الدلالة ولا في التعبير، وإن كانتا– على تقدير– متوافقتين في التركيب النحوي على ما رأى سيبويه. فإن جملة (أمّا زيدٌ فمنطلقٌ) مؤلفة من مبتدأ وخبر فقط من غير لحاظ للأداة (أمّا) إلا في دلالتها على التفصيل، في حين تتألف جملة (مهما يكن من شيء فزيدٌ منطلقٌ) من جملتين؛ لأنها من الجمل الشرطية التي تتركب من جملتين والأداة هنا (مهما) والكلام في ذلك طويل ويدخل في هذا المعنى زيادة الجملة فكلما زاد في الجملة لفظ زاد في الدلالة معنى جديد. ولكن المهم هنا فهم معنى الجملة على العموم وليس بالدقة.

وقد تليها (إن) فيغني جواب (أما) عن جوابها كقوله تعالى: ﴿**فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ () فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ**﴾ (الواقعة: 88 – 89)، بمعنى أنّ (إن) هذه هي الشرطية، وأنّ اقترانها بـ(أمّا) جائز في الكلام، ويغني حينئذ جواب (أمّا) عن جواب (إن)[2] أو بالعكس.

ويجوز حذف الفاء بعدها إذا كان المقرون بها قولاً باقياً ما هو محكي به كقوله تعالى: ﴿**فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ**﴾ (آل عمران: 106). الأصل: فيقال لهم: أكفرتهم قال أبو عبيدة: ((العرب تختصر لعلم المخاطب بما أريد به، فكأنه خرج مخرج قولك: فأما الذين كفروا فيقول لهم: أكفرتم، فحذف هذا واختصر الكلام))[3]، وقال المرادي: ((الفاء بعدها لازمة لا تحذف، إلا مع قول أغنى عنه المحكي به))[4]. ولا تحذف– غالباً– دون مقارنة قول إلا في ضرورة [5] كقول الشاعر:

فَأَمَّا القِتَالُ لاَ قِتَالَ لَدَيْكُمُ... ولكنَّ سيْراً فِي عِراضِ المَواكِبِ

وقد ورد ذكر (أمّا) في القرآن الكريم (28) موضعاً لهذا التقابل الذي يحصل بـ(أمّا) التي للتفصيل. أمّا ورودها مستقلةً فقد حصل بأكثر من (56) مرةً لتكررها ثلاث مراتٍ في بعض المواضع، وهذا يعني طبعاً أهميتها في التعبير والكلام العربي.

وقد تكون للتفصيل بمعنى أنّ مصاديقها وأجزاءها تُذكر في الكلام. وقد يكون تفصيلها لشيء واحدٍ ويترك ما بقي من مصاديقها لفهم السامع بلاغة وترفعاً عن ذكره لسهولة فهم السامع له؛ ولهذا صرح الزمخشري أنّ: ((التفصيل إما لمجمل سابق، أو لمتعدد في الذهن يختار المتكلم منه ما يهمه، ويترك ما عداه ومنه))[6] وهذا الترك إنما يحصل لمعرفة المتكلم من تمكن السامع من تتمة الكلام على وجهه الصحيح الذي به تمام المعنى ومن أمثلة ذلك ما ذكره الخضري مثلاً من بعض الأمثلة التي توضح هذا المعنى إذ قال في

(1) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: 183.
(2) ينظر: شرح الكافية الشافية: 3/ 1647.
(3) مجاز القرآن: 1/ 100.
(4) الجنى الداني في حروف المعاني: 523.
(5) ينظر: شرح الكافية الشافية: 3/ 1648.
(6) المصدر السابق: الصفحة نفسها.

معرض حديثه عن (أمّا): ((وإذا كانت للتفصيل فأمّا أن تكرر مع كل الأقسام كـ ﴿**أَمَّا السَّفِينَةُ**﴾ (الكهف: 79)، ﴿ **وأَمَّا الغُلامُ** ﴾ (الكهف: 80) إلخ أو يستغنى عن أحد القسمين بالآخر نحو: ﴿**فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بالله واعْتَصَمُوا به**﴾ (النساء: 175) إلخ أي وأما غيرهم فبضد ذلك أو بكلام يذكر في موضعه نحو: ﴿**فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ**﴾ (آل عمران: 7) إلخ أي وأما الذين آمنوا فيكلون علمه إلى ربهم بدليل ﴿**وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ**﴾ (آل عمران: 7)...))[1]، فواضح أن بعض ما لا يذكر يعوّل فيه على فهم السامع وتقديره.

ويجب الإشارة هنا إلى أن من خصائص (أمّا) أن تكون في جوابها الفاء وهي لازمة متمّمة لمعنى الأداة الدال على الشرط ففي قوله تعالى: ﴿**فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ () فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ () وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ () فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ () وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ () فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ**﴾ (الواقعة: 88– 93) نلحظ هذا المعنى فقوله (فروحٌ) جواب ما قبلها، وقوله (فسلامٌ) جواب ما قبلها، وقوله (فنزلٌ) جواب ما قبلها أيضاً. ليتحقق بذلك أسلوب عرض جميل يهيئ الأذهان لاستقبال الجواب بعد الطروحات المتوقعة.

ثانياً: التفصيل بشبيهات (أمّا)

قال المرادي: ((ويشتبه بلفظ (أمّا) التفصيلية لفظان آخران: أحدهما: مركب من أم المنقطعة وما الاستفهامية، كقوله تعالى: ﴿**أَمَّاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ (النمل: 84). والآخر: مركب من أن المصدرية وما التي هي عوض من كان كقول الشاعر:

أبا خراشة، أمّا أنت ذا نفر... فإن قومي لم تأكلهم الضبع))[2]، ومن هذا النص نعرف أن هناك ما يشتبه بـ(أمّا) التفصيلية، وهما لفظان: الأول: (أمّا) المتركبة من (أم) المنقطعة التي تدل على عطف ما بعدها على ما قبلها؛ لاستحقاق الكلام المتابعة والدخول في ما بينه. و(ما) الاستفهامية التي تدل على السؤال وتطلب الجواب. والآية في قوله تعالى: ﴿**أَمَّاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ (النمل: 84) تدل على ذلك في ما ذكره المرادي.

والثاني من هذه الألفاظ (أن ما) المتركبة من (أن) المصدرية و(ما) التي هي عوض من كان في ما ذكره أغلب النحويين من سيبويه[3] ابتداءً وما بعده في ما سنرى. ومثّلوا لهذا اللفظ بقول عباس بن مِرداسٍ:

أَبا خُراشَةَ أَمَّا أنتَ ذا نَفَرٍ... فإنّ قومِيَ لم تَأْكُلْهُمُ الضَّبُعُ

بمعنى أن اللفظ (أَمَّا) الوارد في البيت متركب من (أن) التي هي للمصدر و(ما) التي هي عوض. والنحويون يعوضون بدلها بـ(كان) ليستقيم الكلام قال ابن جني عند شرحه لهذا البيت: ((أي: لأن كنت ذا نفر قِويت وشدّدت والضبع هنا السنة الشديدة))[4]، فيعوض عنها بـ(كان) حتى يتبين وجه نصب الاسم المنصوب بعدها. فهذا اللفظ على هذا على نية الفصل أو هو مفصولٌ أصلاً والناس إذ تكتبه، تكتبه مدموجاً فيحصل الإدغام عند الدمج والدليل في ذلك قول الرماني: ((فـ(ما) مفصولة من (أن) في الحقيقة وإن كان بعض الكتاب يكتبها موصولة للإدغام والأولى تفصل ليتبين أنهما حرفان ولا تلتبس بقولك أمّا التي هي حرف واحد في قولك أمّا زيد فمنطلق))[5]. وإنما هي تشتبه بـ(أمّا) في المعنى فقط. أي إنّ هذين اللفظين يشتبهان بـ(أمّا) في معنى التفصيل.

ثالثاً: التفصيل بـ(إمّا)

للفظ (إمّا) معان ذكرها النحاة وقالوا إنّها خمسة قال المرادي: ((معناها، وهي خمسة: الشك نحو: قام إما زيد وإما عمرو. والإبهام نحو: ﴿**وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ**﴾ (التوبة: 106). والتخيير نحو: ﴿**إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ**

(1) حاشية الخضري على ابن عقيل: 2/ 314.
(2) الجنى الداني في حروف المعاني: 527 – 528.
(3) ينظر: كتاب سيبويه: 1/ 293.
(4) الخصائص: 2/ 157.
(5) منازل الحروف: 39.

فِيهِمْ حُسْنًا﴾ (الكهف: 86). والإباحة نحو: جالس إما الحسن وإما ابن سيرين. والتفصيل نحو: ﴿**إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا**﴾ (الإنسان: 3).))[1] فالتفصيل بـ(إمّا) يعني تعداد أقسام المعنى المطروق سابقاً في الكلام. وأقسامها في الأغلب قسمان.

وذكر الرماني الفرق بين (أمّا) و(إمّا): ((أن (أمّا) للاستئناف بتفصيل جملة قد جرى ذكرها نحو قول القائل: أخبرني عن أحوال القوم فتقول مجيبا له: أما زيد فخارج وأما عمرو فمقيم وأما خالد فسرق، وكذلك إذا قلت حرف كذا على أربعة أوجه أمّا الأول فكذا وأمّا الثاني فكذا، وهكذا حتى تأتي على تفصيل جملة العدد الذي بدأت به، وليس كذلك (إمّا) لأن معناها معنى أو في الشك والتخيير والإباحة وأخذ الشيئين على الإبهام))[2]، فالفارق هنا فارق في الشكل والمعنى وإن كان اللفظان للتفصيل في الدلالة. وأرى أن الفارق ينحصر في أنّ (أمّا) لتفصيل الأقسام المتعددة وأنّ (إمّا) لتفصيل الشيئين فقط.

وقد قال ابن مالك في ألفيته قولاً عن عامل (إمّا):

وما لتفصيل كإما مَنًّا... عامله يحذف حيث عَنَّا

قال المرادي يشرح هذا الكلام: ((إذا قصد بالمصدر تفصيل عاقبة ما قبله, وجب حذف عامله كقوله تعالى: ﴿**فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً**﴾[3] أي: فإما تمنون منا, وإما تفادون فداء))[4]، في حين شرح الأشموني هذا الكلام بقوله: (((وما) سيق من المصادر (لتفصيل) أي: لتفصيل عاقبة ما قبله (كإما منا) من قوله تعالى: ﴿**فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً**﴾ (محمد: 4) (عامله يحذف حيث عنا) أي: حيث عرض؛ لما ذكر من أنّه بدل من اللفظ بعامله، والتقدير: فإما تمنون وإما تفادون))[5]، فالتفصيل بهذا اللفظ لتحديد معنيين يعرضان معاً أحدهما مقابل للثاني ولكن لا يهمل الثاني لذكر الأول لبيان المعنى كاملاً في الجملة من غير لحاظ أنّ السامع قد فهم الثاني أو لم يفهمه لتمام الكلام بالنقيضين معاً.

وقد جاء التفصيل في هذا اللفظ في القرآن الكريم بسعة واضحة يتبيّن منها أهمية التعبير بهذا اللفظ في الكلام. فمن ذلك قوله تعالى: ﴿**قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ**﴾ (الأعراف: 115)، والمعنى أن السحرة في هذا القول يخيرون موسى النبي بين أمرين لا ثالث لهما مفصل في قولهم أن تلقي أنت، أو نلقي نحن فالكلام تام بقولهم هذا وفيه صور التخيير ومواضع التفصيل.

أمّا في قوله تعالى: ﴿**وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾ (التوبة: 106) فإن الكلام فيه طرفان الأول ما ذكر فيه الناس أولاً وهم المرجون لأمر الله. والثاني: ما ذكر فيه القسمان اللذان هما قسما الناس إمّا المعذبون وإمّا المتاب عليهم منه سبحانه وتعالى ففي النص ذكر الطرفين وتعداد القسمين ليتم أسلوب التفصيل بـ(إمّا) واضحاً بيناً.

أمّا في قوله تعالى: ﴿**حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا**﴾ (الكهف: 86)، وإن كان الكلام هنا على التخيير[6] إلا أن الكلام يحتمل إجمالاً ملخصه في مسألتين، وتفصيله في أمرين لا ثالث لهما وهما: العذاب أو الحسنى. وقد جاء التعبير بـ(إمّا) لبلاغتها في الكلام وتفصيلها المجمل على قسميها من دون (أو) التي تحتمل التقسيم المتعدد. فلو جاء الكلام بـ(أو) لاحتمل الكلام أمراً ثالثاً أو رابعاً أو أكثر بما لا يحتمله النص كلاماً وإن احتمله معنىً. فقصر الكلام بـ(إمّا) ليكون التفصيل في قسمين لا ثالث لهما وأن الأمر لا يحتمل التفكير فيهم وفي الحكم عليهم أكثر من قسمين متناقضين في أحدهما الرحمة المتعاظمة وفي آخرهما الغضب الكبير، وإن كان الحكمان يحققان العدالة الإلهية فيهما.

(1) الجنى الداني في حروف المعاني: 530.
(2) منازل الحروف: 56 – 57.
(3) محمد: 4.
(4) توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك: 2/ 651.
(5) شرح الأشموني على ألفية ابن مالك: 1/ 475.
(6) ينظر: معاني القرآن: الفراء: 1/ 389.

وكما جاء هنا جاء في قوله تعالى: ﴿**قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا**﴾ (مريم: 75)، ففي قوله (إما العذاب وإما الساعة) يحققان الوعد الذي وعدوا من قبل. فالعذاب تحقق الوعد في هذه اللحظة التي يتكلم المتكلم بها والساعة تأخر العذاب بعد حين كنوعٍ من الإمداد لهم والتمكن للتوغل بالكفر فسيزيد الحساب عليهم كلما طغوا في الضلالة.

أما في قوله تعالى: ﴿**قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى**﴾ (طه: 65)، فتتضح دلالة التفصيل على قسمين في (إمّا) اتضاحاً تاماً؛ من أن الكلام في إلقاء الملقى بين النبي موسى والسحرة لا بد أن يكون إما لموسى النبي أو للسحرة، وفي الكلام تخيير وتفصيل. التخيير حاصل في تحديد الملقي، والتفصيل حاصل في تحديد القسمين اللذين هما موضع إجمال الكلام أو قضية إلقاء الملقى بين النبي موسى والسحرة.

وأما في قوله تعالى: ﴿**إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا**﴾ (الإنسان: 3) فإن احتمال السعي في السبيل لابد أن يكون جزاؤه إما الشكر وإمّا العذاب لماذا؟ لأن السعي لا يكون إلا في الخير أو في الشر. فإن كان السعي في الخير فجزاؤه الشكر والامتنان وعقباه الجنّة. وإن كان السعي في الشر فجزاؤه الكفران والجحود وعقباه النار. فهذه منازل المؤمنين أو الكافرين وهي تقسيمات المجمل.

رابعاً: التفصيل بـ(أو)

التفصيل بـ(أو) من أنواع التفصيل المشهورة التي جاءت كثيراً في الكلام العربي والقرآن الكريم على السواء. ولأنّ (أو) قد تأتي للتفصيل ولغيره فقد ذكر العلماء أقسام (أو) مثل العطف والتشكيك والتفصيل، قال أبو البقاء العكبري: ((وأما (أو) فتشرك في الإعراب ولها معان أحدها الشك في الخبر كقولك: قام زيد أو عمرو، والمعنى أحدهما؛ ولذلك تقول فقال كذا أو كذا ولا تقول فقالهما والثاني أن تكون لتفصيل ما أبهم كقوله تعالى: ﴿**وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى**﴾ (البقرة: 111) أي قالت اليهود لن يدخل الجنة من إلا من كان هودا وقالت النصارى لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى، وكذلك قوله تعالى: ﴿**كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى**﴾ (البقرة: 135) ومنه قول القائل كنت بالبصرة آكل السمك أو التمر أو اللحم أي في أزمنه متفرقة ولم يرد الشك))[1]، فمن هذا النص نفهم أن التفصيل بـ(أو) يكون في الكلام لما أبهم فيه من جهة الإجمال. وفي قوله تعالى: ﴿**وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا**﴾ (البقرة: 135) نوع تفصيل وبيان وقد أوضح ذلك أبو البقاء العكبري فقال: ((و(أَوْ): هنا لتَفْصِيلِ مَا أُجْمِلَ))[2]، ثم إنّه علل هذا الأمر ببيان لطيف قال: ((وذلك أن اليهود قالوا: لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً، وقالت النصارى لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانياً، ولم يقل كل فريق منهم لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى، فلما لم يفصّل في قوله: (وقالوا)؛ جاء بـ(أو) للتفصيل؛ إذ كانت موضوعة لأحد الشيئين))[3] فإن معنى (أو) فيها التفصيل لبيان الأقسام المحتملة والأنواع التي يمكن أن تنتهي إليها، قال السمين الحلبي: ((و(أو) هنا للتفصيل والتنويع لأنه لما لفّ الضمير في قوله: (وقالوا) فصل القائلين، وذلك لفهم المعنى وأمن الإلباس))[4]، وعلى هذا هنا كما أرى لا يمكن دخول غير هذين القسمين معهما في ما لو جاء أحدهم بذكر غيرهما؛ لأن اللف والتفصيل كما يرى السمين موقع لهما على الدقة من غير احتمال لغيرهما.

وفي قوله تعالى: ﴿**أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ**﴾ (البقرة: 19) وقد جمع ابن الجوزي دلالات (أو) في هذا الموضع وعددها ستة: التخيير والإبهام وبمعنى (بل) والتفصيل وبمعنى الواو، وللشك في حق المخاطبين[5]، وهذه الدلالات في جميعها ترتكز على المعنى وما يفهم من سياق الكلام.

(1) اللباب في علل البناء والإعراب: 1/ 422 - 423.
(2) التبيان في إعراب القرآن: 1/ 105.
(3) المصدر السابق: الصفحة نفسها.
(4) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: 2/ 70.
(5) ينظر: زاد المسير في علم التفسير: 1/ 38.

قال بن الجوزي يبين ذلك بشيء من التفصيل: ((أو: حرف مردود على قوله: مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ ناراً، واختلف العلماء فيه على ستة أقوال: أحدها: أنه داخل ها هنا للتخيير، تقول العرب: جالس الفقهاء أو النحويين، ومعناه: أنت مخير في مجالسة أي الفريقين شئت، فكأنه خيرنا بين أن نضرب لهم المثل الأول أو الثاني. والثاني: أنه داخل للإبهام فيما قد علم الله تحصيله، فأبهم عليهم ما لا يطلبون تفصيله، فكأنه قال: مثلهم كأحد هذين... والعرب تبهم ما لا فائدة في تفصيله... والرابع: أنه للتفصيل، ومعناه: بعضهم يشبه بالذي استوقد ناراً، وبعضهم بأصحاب الصيّب...))[1]، فهي دلالات احتمالية يوفرها النصّ هنا.

قال ابن هشام في معاني (أو): ((وأما (أو) فإنها بعد الطلب للتخيير؛ نحو: تزوج زينب أو أختها، أو للإباحة؛ نحو: جالس العلماء أو الزهاد، والفرق بينهما: امتناع الجمع بين المتعاطفين في التخيير، وجوازه في الإباحة. وبعد الخبر للشك؛ نحو: ﴿**لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ**﴾ (الكهف: 19)، أو للإبهام؛ نحو: ﴿**وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدىً أَوْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ**﴾ (سبأ: 24)، وللتفصيل، نحو: ﴿**وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى**﴾ (البقرة: 135)، أو للتقسيم؛ نحو: الكلمة اسم أو فعل أو حرف))[2]، فثمة فرق بين التفصيل والتقسيم قد لحظه بعض النحويين إلا أن المحققين قالوا تعليقاً على هذا النصّ: ((قيل: الفرق بين التفصيل والتقسيم، أن الأول: تبيين للأمور المجتمعة بلفظ واحد؛ وأما التقسيم؛ فهو: تبيين لما دخل تحت حقيقة واحدة، وقد مثل المؤلف لكل منهما، ويرى المحققون: ألا فرق بينهما، ولا ضرر من توحيد معناهما وجعلهما مترادفين، والمسألة اصطلاحية محضة))[3]، فالتفصيل والتقسيم قد يكونان على معنى واحد وهو إفادة تعداد المجمل المذكور سابقاً بذكر تشعباته وتعداداته. فالتفصيل تبيين للمجمل المقسم على نوعين فقط، والتقسيم تبيين للمجمل المتعدد الأجزاء بأكثر من جزء. وهذه حقيقة الأمر هنا وإن لم يذكرها النحويون السابقون أو المحققون في ذلك وغاية الأمر أن يكون التفصيل بـ(أو) تعداد الأوجة المحتملة التي قلنا عنها سابقاً سواء أكانت قسمين فقط أم أكثر.

وفي قوله (إن يكن غنياً أو فقيراً) من قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لله وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللهُ أَوْلَى بِهِمَا**﴾ (النساء: 135) وردت (أو) تفصيليةً، وقد شرح هذا المعنى السمين الحلبي إذ قال: ((إنّ (أو) للتفصيل أي: لتفصيل ما أبهم))[4]، ثم قال بياناً: ((وذلك أن كل واحد من المشهود عليه والمشهود له قد يكون غنياً وقد يكون فقيراً. وقد يكونان غنيين وقد يكونان فقيرين، وقد يكون أحدهما غنياً والآخر فقيراً. فلما كانت الأقسام عند التفصيل على ذلك أتي بـ(أو) لتدل على التفصيل، فعلى هذا يكون الضمير في (بهما) عائداً على المشهود له والمشهود عليه على أي وصف كانا عليه))[5]، فقد جيء بـ(أو) لتدل على التفصيل الذي يوضح به حقيقة متلازمة هي عن اثنين.

وفي قوله تعالى: ﴿ **وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ** ﴾ (الصافات: 147) لأيّ شيء تكون هنا (أو) ؟ والجواب كما قال أبو البقاء العكبري: ((والجواب أن (أو) في الآية... لشك الرأي أي لو رأيتهم لقلت هم مائة ألف أو يزيدون، وقيل هي للتخيير، وقيل للتقريب، وقيل للتفصيل))[6]، وهذا الشك في أمر (أو) هو شك في معنى مراد الآية الكريمة وما تحتمله (أو) فيها من دلالة محددة في الكلام. وأنت ترى أن التعداد والتفصيل واضحان في الكلام، فإن النص القرآني لم يرد ذكر العدد بالدقة وإنما اكتفى بالتلميح له فذكر كثيره وعطف قليله بالشك أو التقريب. وفي الكلام سعة وفي المعنى تهويل وتكثير قد يكون مراداً هنا. وفي الجملة فإن ملمح التفصيل والتعداد ظاهر بينٌ في الآية المباركة.

وفي قوله تعالى: ﴿**إِنَّما جَزاءُ الَّذِينَ يُحارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَساداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذابٌ عَظِيمٌ**﴾ (المائدة: 33)، جاء ذكر العقاب بالتفصيل المتعدد بكثرة المعطوفات التي تبين حقيقة العذابات التي يمكن أن تكون عقوبات محتملة لهؤلاء الكفرة. فقد ذكر ما أجمل أولاً

(1) المصدر السابق: نفسه.
(2) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: 3/ 340 – 341.
(3) المصدر نفسه: 3/ 340.
(4) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: 4/ 116.
(5) المصدر السابق: نفسه.
(6) اللباب في علل البناء والإعراب: 1/ 425.

ثم عطف بعد ذلك جملاً احتملت كل واحدة منهن معنى يحمل عقوبة معينة محتملة للكافرين وقد ترابطت الجمل بأسلوب العطف بـ(أو) التي يكون من معناها عموماً التعداد والتفصيل لما كان مجملاً مساقاً على سبيل الإكمام وعدم التفصيل.

خامساً: التفصيل بـ(الواو)

ومن غريب ما ذكر في التفصيل– على رأي بعض النحويين– قول من عدّ (الواو) من حروف التفصيل وإنما المشهور فيها أنّها للجمع والإشراك. وهذا قول النحويين جميعهم تقريباً إلا من ندّ عنهم في مواضع قليلة يخرجون فيها معنى آية أو جملة هنا وهناك لا يستقيم معناها على الجمع والإشراك وإنما واضح معناها هو التفصيل والتعداد لا غير من ذلك قول الكرماني في توضيح معنى قوله تعالى: ﴿**مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ**﴾ (البقرة: 98)، ومعنى هذا التعداد لجبريل وميكال على الرغم من ذكر الملائكة سابقاً في الكلام، والمفروض أن هذا الذكر المجمل يغني عن ذكرهما تفصيلاً، قال: ((خصّا بالذكر بعد الملائكة لشرفهما، و(الواو) فيه للتفصيل لا للجمع))[1]، ثم ذكر قول علي بن عيسى الذي يعلل فيه سبب هذا التخريج قال: (((الواو) بمعنى (أو)، وليس للجمع؛ لأن ذلك يؤدي إلى تسهيل عداوة الواحد منهم إذا انفرد))[2]، فـ(الواو) هنا جاءت للتفصيل في الكلام لورود الإجمال أولاً، فاحتاج الكلام إلى التصريح، فصرح بذكر أنواع المجمل وفصّل فيهما للبيان والتوضيح.

وقد عدّ النحويون هذا غريباً في تعيين معنى (الواو) على التفصيل؛ لأنها لا تكون إلا للإشراك والجمع وهذا أمر منهم في غاية الغرابة، فإن معنى التفصيل في (الواو) ظاهر بين، لا يحتاج أدنى تأمل وتدقيق، نجزم به ونعدّه من صلب موضوع التفصيل، وهو التفصيل بـ(الواو).

سادساً: التفصيل بـ(الفاء)

وكما يكون التفصيل بـ(الواو)، جاز أن يكون بـ(الفاء) لتوافق دلالة هذه تلك في المعنى والعمل. فقد عدّ بعض المفسرين الفاء مفصلة ومنهم البيضاوي إذ خرج معنى الفاء في قوله تعالى: ﴿**أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ**﴾ (البقرة: 87) على التفصيل، قال: (((فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ) كموسى وعيسى عليهما السلام، والفاء للسببية أو للتفصيل (وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ) كزكريا ويحيى عليهما السلام))[3]، فقد جاءت (الفاء) هنا للتفصيل، وعندي أن ذلك على العموم، وخصوص الكلام في هذا التفصيل أن يكون هناك كلامٌ تام مستقل فيه عموم لابدّ من فهمه وبيانه فتأتي الجمل المبينة مسبوقة بالفاء التي للترتيب والتي تنفع أن تفيد التفصيل لكونها تستأنف كلاماً جديداً فيه تعداد لما أجمل سابقاً، ويكون في الكلام الجديد عطف وتعداد لما أبهم واحتيج للتفصيل فيه.

المبحث الثاني: التفصيل بالأسماء

التفصيل يكون بالأسماء كما يكون بالحروف، ولعله يكون بيناً وواضحاً في الأسماء؛ لأن التفصيل بالأسماء يعتمد على الدلالة ومن أمثال ذلك (الصفة) أو (البدل) أو (التمييز):

أولاً: التفصيل بـ(الصفة)

والصفة أو النعت يؤتى به للتفصيل، وهو من فوائد النعت قال ابن مالك: ((وهو التابع المقصود بالاشتقاق وضعاً، أو تأويلاً مسوقاً لتخصيص، أو تعميم، أو تفصيل، أو مدح، أو ذم، أو ترحم، أو إيهام، أو توكيد))[4]، فمن مواردها التفصيل، ونعني بذلك أن تكون الصفة التي تأتي بعد الموصوف مفصلة للكلام السابق، وبالتحديد للموصوف الذي جاءت موضحة ومبينة له، ومؤدى ذلك أن الصفة تأتي؛ لإفادة أمر معين في الاسم المذكور سابقاً في الكلام، وهذه الفائدة يؤتى بها توضيحاً ونوع بيان للاسم المتقدم لوجود سعة في الدلالة فيه، أو لقلة وروده فيتعذر فهمه أو معرفته بدقة إلا بالصفة المبينة، أو لأنه مختلط في كثير معروف فلا يفهم أي المصاديق ينطبق عليه إلا بورود اسم آخر مبين له بالدقة، أو مقرب له على التعيين بالصفة. أما الغاية من ورود الصفة البيانية للاسم المتقدم

(1) غرائب التفسير وعجائب التأويل: 1/ 160.
(2) ينظر: المصدر السابق: الصفحة نفسها.
(3) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: 1/ 93.
(4) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: 167.

فإنما يجاء بها للتفصيل بمعنى أنّ الاسم المتقدم فيه نوع إجمال حاصل مما ذكرنا فالصفة فيها نوع تقريب فهم للاسم المجمل قال الخضري: ((لأنّ الموصوف مظنة الفائدة لما فيه من التفصيل بعد الإجمال))[1]، فإنّ الموصوف محتمل هنا والصفة قاطعة.

ثانياً: التفصيل بـ(البدل)

البدل عود اسم على اسم سابق لتوضيحه وتبيينه والتعريف به على سبيل إعادة العامل فهو مشابه للصفة إلا أن الصفة موضحة ومبينة لا على سبيل تكرير العامل، وهو مشابه للتوكيد إلا أنّ التوكيد لا تفصيل فيه ((ومن الأسماء ما يجوز حمله على التّأكيد، وتارةً على البدل، مثل: (ضُرِبَ زيدٌ اليد والرجل) فجعله تأكيدًا من جهة الحصر والعُموم ؛ وجعله بدلاً من جهة تفصيل البعض؛ تقول: (مُطرنا السَّهْلَ والجَبَلَ)، والسَّهْلُ والجَبَلُ، فالرّفعُ على البدل تقديرُه: مُطِرَتْ أرضُنا سهلُها وجبلُها))[2]، فقولنا مثلاً: جاء أصدقائي ثلاثتهم زيد وعمرو وعليّ فيه تفصيل وبيان لما قبله من كلام، قال سيبويه: ((ومنه أيضاً: مررتُ بثلاثةِ نَفَرٍ: رجلينِ مسلمينِ ورجلٍ كافرٍ، جَمعتَ الاسمَ وفصَّلتَ العدّةَ ثم نعتَّه وفسّرتَه))[3]، فإنّ (رجلين) بدل من (ثلاثة) فيه تفصيل لهما ؛ لبيان المعاني الخفية في (ثلاثة) بدقةٍ وتفصيل.

وممّا أنشد من البدل قولُ كثيّر عزّة:

وَكُنْتُ كَذِي رِجْلَيْنِ رِجْلٍ صَحِيْحَةٍ... وَأُخْرَى رَمَى فِيْهَا الزَّمَانُ فَشَلَّتِ

قال محقق اللمحة: ((والشّاهدُ فيه: (رجلٍ صحيحة) حيث أبدل النّكرة وهي (رجل صحيحة) من النّكرة وهي (رجلين). ويجوز الرّفع على القطع إمّا مبتدأ حذف خبره؛ وتقديرُ الكلام: منهما رجل صحيحة، ومنهما رجل رمى فيها الزّمان. وإمّا خبر مبتدأ محذوف تقديره: إحداهما رجلٌ صحيحة، والأُخرى رجل رمى فيها الزّمان))[4]، فقد أراد الشاعر التعديد لما أجمل سابقاً من قوله (رجلين) فما هما؟ فجاء تعداده لبيان هذين الرجلين وتفصيل ما كان أجمله من معنى فيهما.

وجاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ**﴾ (النساء: 11)، ففي هذه الآية ورد متعلقان هما (لأبويه)، و(لكل واحد منهما). وكان الحال أن يكتفي بأحدهما؛ لأنَّهما بالمعنى نفسه وإنما جرى ذكرهما معاً لغاية، قال البيضاوي في تفسيره: (((لكل واحد منهما) بدل منه بتكرير العامل وفائدته التنصيص على استحقاق كل واحد منهما السدس، والتفصيل بعد الإجمال تأكيداً))[5]، فكأن الجملة السابقة قد حملت إجمالاً في الكلام لا يفهم بسهولة ويسر وهو قوله (لأبويه) فجاء الكلام الجديد بالبدل المبيّن لتوضيح هذا الإجمال وبيانه وتفصيل الكلام في الأبوين هل هما معاً بالسدس أو أنّ لكل واحد منهما. فإن بهذا البدل تعيّن أنّ (لكل واحد منهما) السدس ومن دون هذا التفصيل والبيان يكون لكليهما معاً السدس وفي الكلام تغاير شديد لم ينفك ويتضح إلا بالبدل المفصّل للكلام السابق.

قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ**﴾ (البقرة: 284) فيه نوع من البدلية على إحدى القراءات التي ليس فيها (الفاء) في (فيغفر) أذكرها هنا للاستيناس بتخريج الزمخشري في القراءة وما أبداه في حقيقة البدل قال: ((وقرأ الأعمش: يغفر، بغير فاء مجزوما على البدل من يحاسبكم... ومعنى هذا البدل التفصيل لجملة الحساب لأن التفصيل أوضح من المفصل، فهو جار مجرى بدل البعض من الكل أو بدل الاشتمال، كقولك: ضربت زيداً رأسَه وأحب زيداً عقلَه. وهذا البدل واقع في الأفعال وقوعه في الأسماء لحاجة القبيلين إلى البيان))[6]، وفي هذا الكلام أشياء جميلة ومفيدة في عدّ البدل موضحاً مفصّلاً لما أجمل منها:

1: أن الكلام لابدّ أن يكون فيه إجمال سابق للبدل.

(1) حاشية الخضري على ابن عقيل: 1/ 228.
(2) اللمحة في شرح الملحة: 2/ 723.
(3) كتاب سيبويه: 1/ 432.
(4) اللمحة في شرح الملحة: 2/ 723، الهامش: 5.
(5) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: 2/ 63.
(6) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: 2/ 330 – 331.

2: أنّ البدل مفصّلٌ لما أجملَ سابقاً.

3: أن التفصيل أوضح من المفصّلِ.

4: أنّ هذا البدل جار مجرى بدل البعض من الكل أو بدل الاشتمال.

5: وهذا البدل واقع في الأفعال وقوعه في الأسماء لحاجة القبيلين إلى البيان.

وهذا مجمل ما في البدل الذي يأتي للتفصيل في الكلام.

ثالثاً: التفصيل بـ(التمييز)

التمييز من مواضيع النحو الكفيلة بإظهار المعاني المهمة في الكلام لأنه يركز على حالة الإنسان الداخلية وبواطنه النفسية. فهو موضوع مهم وفيه بيان ما خفي من كوامن النفس البشرية. وله في اللغة معنى هو التبيين والإيضاح وفيه نوع تفصيل لما أجمل في سابق الكلام جاء في كشف المشكل قوله: ((المُمَيِّز، والتّبيين، والمُبيِّن، والتفسير، والمفسِّر، وسواء أقلت: تمييزٌ، أو تفسي، أو تبيين، فهو بمعنى واحد، ألا ترى أنك إذا قلت: عندي أحدَ عشرَ، كان الكلام جملةً مبهمة يجوز أن تخصها بأي جنس شئت، فإذا قلت: رجلاً، أو ثوباً، كان تفصيلاً لجملة وتبييناً لمبهمة، وتمييزاً لجنس ما عددت دون غيره))[1]، فالتمييز موضح ومبيّن وهو مفسّر ومفصّل للكلام.

فالتمييز اسم يوضح ما أجمل، وقد يكون ما أجمل في الفاعل أو المفعول يعدل به عن الأصل الذي كان حقيقة لغاية البيان؛ والسبب في ذلك كما يرى الرضي في قوله: ((يعدل من الأصل ليكون أوقع في النفس، لأنه يتشوق إلى معرفة ما أبهم عليه، فالأصل في (طاب زيد نفساً)، لزيد نفس طابت))[2]، وهذا ما أشار إليه الصبان في حاشيته قال: ((وإنما عدل عن هذا الأصل ليكون فيه إجمال ثم تفصيل فيكون أوقع في النفس لأن الآتي بعد الطلب أعز من المنساق بلا طلب))[3]، فالتغيير في تركيب الجملة منح الدلالة التوسع والمغايرة من جهة، ومنحها الإجمال أولاً ثم الوضوح بالتفصيل الموقع الأثر الحسن في النفس التي تتغير على وفق ما تسمع من دلالات.

وفي قوله تعالى: ﴿**قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا**﴾ (مريم: 4) ففي قوله (اشتعل الرأس شيباً) إجمال وتفصيل قال أولاً (اشتعل الرأس) فكأنه أجمل كلاماً أراد فيه بيان حقيقة كبره وأنّ شعر رأسه الأسود قد صار مشتعلاً ولكنّ القوة الحقيقية في بيان المعنى على الدقة هو لما قال (شيباً) ليكون ذلك التفصيل المهم بياناً شافياً في ما وصل إليه من كبر، قال الخضري: ((قوله: (ومثله اشتعل الخ) أي في أنه محوّل عن الفاعل إذ الأصل: اشتعل شيب الرأس، فحوّل الإسناد عن المضاف إلى المضاف إليه وهو الرأس فارتفع بدله، وحصل في الإسناد إليه إبهام فجيء بذلك المضاف الذي كان فاعلاً، وجعل تمييزاً لأن التفصيل بعد الإجمال أوقع في النفس))[4]، فـ(شيباً) تمييز لما أجمل سابقاً جيء به لبيان ما في الفاعل من إجمال وخفاء دلالي.

الخاتمة

درس هذا البحث أسلوباً مهملاً في العربية وخرج بنتائج منها:

1: التفصيل موضوع له أهميته في إظهار الكلام تاماً كاملاً من ناحية التركيب والمعنى معاً، فالمتكلم قد يستغرق في توضيح كلامه ليتمّه ويتم بذلك عرض المعاني التي يريد قولها، مما يعني أن المتكلم اتبع إحدى الطرق التالية التي استطاع بها أداء كلامه تاماً مستوفياً كلّ ما فيه من تفاصيل: أما أن يكون قد استعمل التفصيل بالحروف الخاصة التي تدلّ على التفصيل من مثل: (أمّا)، أو (إمّا)، أو (أو)، أو (الواو)، أو (الفاء)، أو أنّه استعمل التفصيل بالأسماء من مثل: (الصفة) أو (البدل) أو (التمييز).

(1) كشف المشكل في النحو:1/ 484.
(2) شرح الرضي على الكافية: 1/ 242.
(3) حاشية الصبان: 2/ 195.
(4) حاشية الخضري على ابن عقيل: 1/ 498.

2: اختلفت أدوات التفصيل في بيان كمية العدد المفصّل بين الشيء الواحد الذي يبين ما أجمل سابقاً كما في (البدل) و(التمييز)، وبين الاثنين كما في (إمّا)، وبين الثلاثة فأكثر كما في (أمّا) وأمثالها.

3: يحصل التفصيل في الأشياء المراد التفصيل فيها إمّا بالحروف أو بالأسماء ولا نصيب للأفعال في ذلك على وفق ما جرى فيه البحث من استقصاء كلام العلماء الذين ذكروا التفصيل ولم يشيروا إلى الفعل فيه أسلوباً مستعملاً.

4: التفصيل نوع تكثير في الكلام. والتكثير فيه من جهتين من جهة الكلام ومن جهة المعنى. فإن الكلام يتكاثر بذكر أنواع الاسم المتقدم، أمّا المعنى فإنّ تكاثره بذكر الأنواع بتعدادها بعد أن أجمل الكلام عنهما في الكلام سابقاً.

5: الحروف هي الأسلوب المميّز في التفصيل، وإن كانت الأسماء هي الأكثر استعمالًا ودلالةً؛ لأنّ الأسماء تعطي للكلام قوّة لما لها من دلالة في نفسها على عكس الحروف.

6: ربّما يكون للأداة (أمّا) موقعُ الصدارة في كونها أم الباب وما سواها تابع لها عامل عملها، أو منجزٌ عملها على سجيّته وعلى وفق دلالته.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- ✓ أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت: 685 هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط/ 1، 1418 هـ.
- ✓ أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (ت: 761 هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، بيروت، (د/ ت).
- ✓ تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: 393 هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط/ 4، 1987.
- ✓ التبصرة في أصول الفقه: إبراهيم بن علي بن يوسف، أبو اسحاق الشيرازي (ت: 476 هـ)، تحقيق: د. محمد حسن هيتو، دار الفكر، دمشق، ط/ 1، 1403هـ.
- ✓ التبيان في إعراب القرآن: عبد الله بن الحسين بن عبد الله أبو البقاء العكبري (ت: 616 هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، (د/ ت).
- ✓ التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد): محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: 1393 هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984 هـ.
- ✓ تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: ابن مالك (ت: 672 هـ)، تحقيق: محمد بركات، دار الكتاب العربي، بيروت، 1967.
- ✓ التعريفات: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: 816 هـ)، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ 1، 1983.
- ✓ تهذيب اللغة: أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي (ت: 370 هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط/ 1، 2001.
- ✓ توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك: أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي (ت: 749 هـ)، شرح وتحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، بيروت، ط/ 1، 2008.
- ✓ التوقيف على مهمات التعاريف: محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت: 1031هـ)، تحقيق: عبد الخالق ثروت، عالم الكتب، القاهرة، ط/ 1، 1990.

- ✓ الجنى الداني في حروف المعاني: حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ أبو محمد بدر الدين المرادي المصري المالكي (ت: 749 هـ)، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ 1، 1992.
- ✓ حاشية الخضري على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: محمد بن علي الخضري (ت: 1287هـ)، شرحها وعلق عليها: تركي فرحان المصطفى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ 1، 1998.
- ✓ حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك: محمد بن علي الصبان، أبو العرفان الشافعي (ت: 1206 هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ 1، 1997.
- ✓ الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت: 392 هـ)، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ 3، 2008.
- ✓ الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت: 756 هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، ط/1.
- ✓ دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون: القاضي عبد رب النبي بن عبد رب الرسول الأحمد نكري، حققه وعرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ 1، 2000.
- ✓ زاد المسير في علم التفسير: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: 597 هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط/ 1، 1422هـ.
- ✓ شرح الأشموني على ألفية ابن مالك: علي بن محمد بن عيسى، أبو الحسن نور الدين الأشْمُوني (ت: 900هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ 1، 1998.
- ✓ شرح الرضي على الكافية: محمد بن الحسن رضي الدين الأستراباذي (ت: 688هـ)، تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ليبيا، ط/ 2، 1996.
- ✓ شرح الكافية الشافية: محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله جمال الدين (ت: 672هـ) عبد المنعم أحمد هريدي جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مكة المكرمة، ط/ 1.
- ✓ الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها: أحمد بن فارس بن زكرياء، أبو الحسين القزويني الرازي (ت: 395 هـ)، تحقيق: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ 1، 1997.
- ✓ العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: 170هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط/1.
- ✓ غرائب التفسير وعجائب التأويل: أبو القاسم برهان الدين محمود بن حمزة بن نصر الكرماني، ويعرف بتاج القراء (ت: نحو 505 هـ)، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، ومؤسسة علوم القرآن، بيروت، ط/1.
- ✓ كتاب سيبويه: عمرو بن عثمان بن قنبر، أبو بشر الحارثي بالولاء، الملقب سيبويه (ت: 180هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط/ 3، 1988.
- ✓ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله الزمخشري (ت: 538هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط/ 3، 1407 هـ.
- ✓ كشف المشكل في النحو: علي بن سليمان الحيدرة اليمني (ت: 599هـ)، تحقيق: د. هادي عطية مطر الهلالي، مطبعة الإرشاد، بغداد، ط/ 1، 1984.
- ✓ الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: أيوب بن موسى أبو البقاء الكفوي، (ت: 1094هـ)، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، د/ ت.

- ✓ اللباب في علل البناء والإعراب: عبد الله بن الحسين بن عبد الله، أبو البقاء العكبري (ت: 616هـ)، تحقيق: د. عبد الإله النبهان، دار الفكر، دمشق، ط/ 1، 1995.
- ✓ اللمحة في شرح الملحة: محمد بن حسن بن سِباع بن أبي بكر الجذامي، أبو عبد الله شمس الدين المعروف بابن الصائغ (ت: 720 هـ)، تحقيق: إبراهيم بن سالم الصاعدي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط/ 1، 2004.
- ✓ مجاز القرآن: أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى البصري (ت: 209هـ)، تحقيق: محمد فواد سزگين، مكتبة الخانجى، القاهرة، 1381 هـ.
- ✓ المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: عثمان بن جني، أبو الفتح الموصلي (ت: 392هـ)، دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ 1، 1998.
- ✓ معاني القرآن: يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور، أبو زكريا الديلمي الفراء (ت: 207هـ) تحقيق: أحمد يوسف النجاتي ومحمد علي النجار وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية، مصر، ط/ 1.
- ✓ معجم الفروق اللغوية: أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري (ت: نحو 395هـ)، تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ(قم)، ط/ 1، 1412هـ.
- ✓ منازل الحروف: أبو الحسن علي بن عيسى بن علي الرماني (ت: 384هـ)، تحقيق: د. إبراهيم السامرائي، دار الفكر، عمان.